

The essence of the maqsura in Islamic architecture as a modern trend to preserve it as an archaeological cultural heritage in its own right

Prof. Dr. Yassin Elsayed Zidan

Professor of Restoration, Faculty of Archeology, Cairo University

Prof. Dr. Nesren Mohamed Nabil

Professor of Restoration and Conservation of Wooden Antiquities, Faculty of Archeology, Cairo University

Dr. Mohamed Rabie Mohamed

Lecturer at Institute for the Restoration and Conservation of Antiquities in Luxor

Abstract

This part deals with general introductions about the nature of the cabin and its various definitions, its purpose, its creator, the reason for its existence, the functions and types of those booths, and the movable booths and their forms. Inside the congregational mosques, the cabin in the mosque for the sultan's prayer, he takes a fence over the mihrab and possesses it and what follows it, in order to know what the Islamic architecture's quiver contains of architectural elements submerged under the shadows of oblivion. Who took it and the following lines are listed to find out all this and that.

Key words: cabin, Islamic architecture, cultural heritage, linguistic origin, preservation

الملخص:

يتناول هذا الجزء مقدمات عامة عن ماهية المقصورة وتعريفاتها المختلفة والهدف منها والمنشئ لها وسبب وجوده ووظائف تلك المقاصير وأنواعها والمقاصير المتحركة وأشكالها، حيث إن تلك العناصر التي تم تناولها من خلال الدراسات التاريخية ماهي إلا خطوة أصيلة لخطة علاج المقصورة الخشبية " مقصورة المسجد العمري بقوص- قنا" والتي تم دراستها بالفعل، كما أنه باعتبارها عنصر معماري مكمل داخل المساجد الجامعة، المقصورة في المسجد لصلاة السلطان، فيتخذ سياجاً على المحراب فيحوزه وما يليه، وذلك لمعرفة ما تحويه جعبة العمارة الإسلامية من عناصر معمارية مغمورة أسفل غياهب النسيان فجاءت تلك السطور لتنفذ غبار النسيان عن ذاكرة التاريخ وبالأخص عن المقاصير ومعرفة دورها وأسباب تواجدها ونشأتها وأول من اتخذها ويتم سرد السطور الآتية لمعرفة كل هذا وذلك، كما أنه تعد خطوة مهمة لاكمال دور المقصورة في بناء المساجد الحالية.

كلمات دالة: المقصورة، العمارة الإسلامية، أرتث ثقافي، الأصل اللغوي، حفاظ.

مقدمة:

لفظة المقصورة في القرآن الكريم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ }⁽¹⁾، { حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ }⁽²⁾ صدق الله العظيم.

باب حور مقصورات في الخيام: -

وقال ابن عباس الحور السود الحنق وقال مجاهد مقصورات محبوسات قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن قاصرات لا يبغين غير أزواجهن⁽³⁾، حدثنا محمد بن المثنى قال حدثني عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما وجنتان من كذا أنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن⁽⁴⁾، إذا دخل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين، ومنه مقصورة الجامع، وقصرت الشيء على كذا إذا لم تجاوز إلى غيره⁽⁵⁾.

(1) القرآن الكريم: الجزء الثالث والعشرون، سورة ص، آية "52".

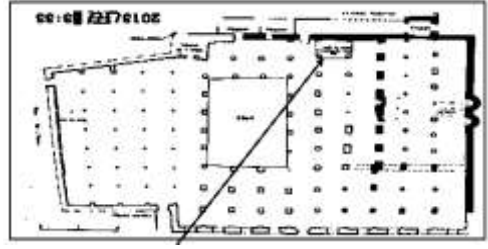
(2) القرآن الكريم: الجزء السابع والعشرون، سورة الرحمن آية "72".

(3) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: غداء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، ط.2، 1993م.

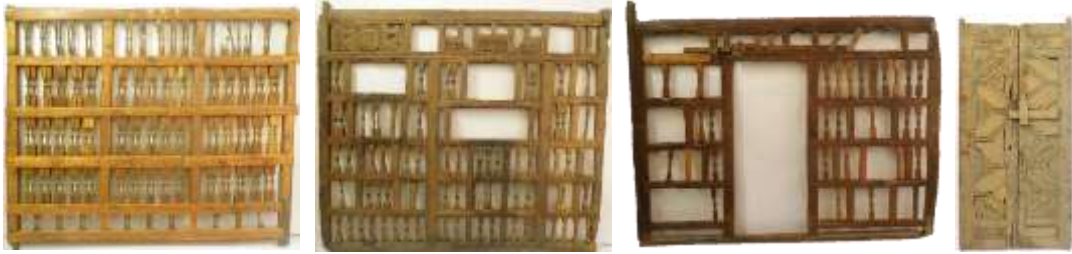
(4) محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، دار ابن كثير. 1993م، ص. 4598.

(5) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر.

هذا وتم تطبيق تلك الدراسة علي المقصورة الخشبية بالمسجد العمري بقوص التي تعود إلى العصر المملوكي " 717هـ/1300م، وهي تقع في النهاية البحرية للبانكة الرابعة والخامسة من إيوان القبلة بالمسجد، وتم اجراء خطة علاج فعلية متكاملة لها للحفاظ على هذا النوع من الأثر الأثري.



موقع المقصورة على تخطيط المسجد العمري. موقع المقصورة بالنسبة للبانكة الرابعة لإيوان القبلة.



العناصر المعمارية المكونة للمقصورة" الباب الخشبي، الواجهة الشرقية، الواجهة الغربية، الواجهة الجنوبية".

التطور التاريخي للمقصورة Compartment:

يبدو أن هذا الطراز من المنشآت تم صنعه واستخدامه خلال الدولة الحديثة في مصر القديمة حيث أن اللفظ الذي أطلقه عليه المصري القديم هو Ipdw أو 3pdw ويرجح هذا أن اللفظ الأخير قد ورد بالنص الذي يصاحب النجارون اللذين يقومون بصنع حليات المقاصير، وهذا يظهر في شكل رقم "1"، كما يرجح أيضاً أن هذين اللفظين يشيران إلى الأثاث الخشبي بوجه عام (1)، ومنه ظهر لفظياً مسمى المقصورة عند المصريين القدماء مع اختلاف الوظيفة في العصر الإسلامي.



شكل رقم (1) يوضح اللفظ المصري القديم الذي يشير إلى الأثاث الخشبي "المقصورة" نقلاً عن د. محمد راشد حماد.

(1) محمد راشد حماد: أشغال النجارة في مصر القديمة، مطابع المجلس الأعلى للآثار، 2007م، ص.309.

الأصل اللغوي والاصطلاحي لكلمة مقصورة **Compartment**: المقصورة في اللغة من قصر الشيء، يقصره قصرًا أي حبسه وتجمع على مقاصير ومنه مقصورة الجامع⁽¹⁾.

Compartment:

1. One of the parts or spaces into which an area is subdivided.
2. A separate room, section, or chamber: a storage compartment⁽²⁾.
3. A small storage space⁽³⁾.

تعريف المقصورة:

1. هي الشاشة التي تغلق منطقة المحراب والمنبر والتي استعملت في المساجد الأولى⁽⁴⁾.
2. هي الدار الواسعة المحصنة. وقيل هي أصغر من الدار وجمعها مقاصر ومقاصير⁽⁵⁾.
3. وردت عدة آراء في تعريف مقصورة الصلاة منها: -
4. ما ذكره "ابن خلدون" في مقدمته عند تعريفه للمقصورة فقال هي من الأمور الخلفية ومن شارات الملك الإسلامي ولم تعرف في غير دول الإسلام⁽⁶⁾.
5. ورد هذا المصطلح بالقاهرة بقبة السلطان "قلاون" في شريط كتابي على الخشب (أمر بإنشاء هذه المقصورة...) ⁽⁷⁾.
6. وعرفها "ابن طولون الصالحي" عند وصفه لمقصورة الجامع الأموي، بأنها عبارة عن حواجز مخروطية حذاء دعائم قبة النسر ويصبح المنبر والمحراب ضمن قاعة جدرانها⁽⁸⁾.
7. هي قسم أو جزء مستقلٌ حُجِّيرَةٌ ولذا فهي منطقة ممارسة الشخص لأنشطته⁽⁹⁾.

(1) محمد الكحلوي: مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي دراسة أثرية معمارية، بحث منشور بمجلة كلية الآثار عدد 3، مطبعة جامعة القاهرة ، 1989م، ص. 207.

(2) The American Heritage® Dictionary of the English Language، Fourth Edition copyright ©2000 by Houghton Mifflin Company, Published by Houghton Mifflin Company. All rights reserved, . Updated in 2009.

(3) Collins English Dictionary -Complete & Unabridged 10th Edition © William Collins Sons & Co. Ltd, 2009.

(4) http://archnet.org/library/dictionary/entry.jsp?entry_id=DIA0452,30-1-2013.

(5) ابن منظور: معجم لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، عام 689هـ، ص. 3647.

(6) عبد الرحمن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج.2، دار نهضة مصر، 2006م، ص. 674.

(7) العربي صبري عبد الغنى: دراسة مقارنة لطرز العماير الدينية المملوكية البحرية الباقية بمدينة دمشق والقاهرة، رسالة دكتوراه كلية الآثار جامعة القاهرة، المجلد الأول، 2003م، ص. 194.

(8) متحف بلا حدود: الفن المملوكي عظمة وسحر السلاطين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007م، ص. 219.

(9) Dictionary of Oxford، part compartment".

الهدف من المقصورة وسبب تسميتها بهذا الاسم:

لأنها قصرت للأمام دون الناس، فكانت حمايته سبب مباشر في عمل تلك المقاصير في المساجد، حرصاً على حياته من الاعتداء ولا سيما بعد أن كثرت الاغتيالات وأعمال القتل للولاة ونحوهم، ولعل أقدم نماذج المقاصير الباقية في العمارة الإسلامية هي المقصورة التي عملها في جامع القيروان "المعز بن باديس" حاكم الشمال الإفريقي في عهد المستنصر بالله الفاطمي 487هـ/1094م⁽¹⁾.

وظائف المقصورة:

لقد تنوعت المقاصير، وتعددت في العصر الإسلامي:

1. حيث خصصت مقاصير خاصة لصلاة النساء في المساجد الجامعة وهي غالباً ما تقع في مؤخرة المسجد أو في إحدى مجنبتَي المسجد وكانت لها مداخل خاصة بها تفتح عليها مباشرة وهذا النوع من المقاصير يعتبر أقدم عهداً من مقصورة الأمام.
2. كما عرف في العصر الإسلامي أنواع أخرى من المقاصير لم تكن مخصصة للصلاة بل كانت لها وظائف أخرى ارتبطت في مضمونها بعمارة المسجد، حيث يطلق على السياج الذي يحيط بتركيبه الدفن بالمقصورة الضريحية⁽²⁾.
3. وكذلك عرفت في المساجد الإسلامية أنواع أخرى من المقاصير، عرفت بالمقاصير العلمية كالتي بالجامع الأموي والتي كانت مخصصة لطلاب المذهب الحنفي حيث كانوا يجتمعوا فيها للتدريس، وكذلك وجدت المقاصير العلمية في المدارس اليمينية حيث أنشأ الأمام "المتوكل على الله شرف الدين" سبع مدارس وبنى في كل مدرسة مسجداً للصلاة ومقصورة في مؤخرة المسجد للعلماء، والذين يتلقون العلوم من الطلاب.
4. وعرفت المساجد أيضاً نوع آخر من المقاصير يعرف بمقاصير الخزائن كالتي كانت بالجامع الأزهر في العصر المملوكي البحري وخاصة في عهد السلطان "الناصر حسين بن قلاوون"، ويعرف هذا النوع من المقاصير في مساجد الغرب الإسلامي باسم "الهري" أو "الهراري" وقد خصص هذا النوع من المقاصير لحفظ أموال المسلمين التي تحصل من خلال الحبوس الموقوفة على المسجد، ومن أشهر تلك المقاصير في المغرب تلك المقصورة التي أنشأها الفقيه "أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد" في عام 598هـ/1201م بمسجد القرويين بفاس 242هـ/857م.
5. ومن مقاصير المساجد أيضاً مقاصير الكتب كالتي كانت في جامع الزيتونة حيث خصصت مقصورة لحفظ الكتب.

(1) عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص. 297.

(2) عاصم محمد رزق: المرجع نفسه، ص. 298.

6. وعرفت المساجد أيضا نوعاً آخر من المقاصير عرفت بمقاصير الفقراء ومنها المقصورة التي أنشأها السلطان "الناصر بن محمد قلاون" بمسجد القلعة، وقد ذكر "بن دقماق" عن هذه المقصورة أنها كانت تقع في الجهة البحرية من الجانب الشرقي للمسجد وكانت مخصصة للفقراء المرتبين فيه سفليه وعلويه أي أن المقصورة كانت مكونة من طابقين.

7. ومن مقاصير المساجد أيضاً، مقاصير الصوفية ومن أمثلتها المقصورة التي أنشأها السلطان "الناصر محمد بن قلاون" بمسجد القلعة والتي خصصت لإقامة الصوفية.

8. قيل إن "قرة بن شريك" عامل "الوليد بن عبد الملك" كان قد عمل لنفسه في جامع "عمرو بن العاص" عندما أعاد بناءه مقصورة لم تقتصر وظيفتها على صلاة الوالي فقط، وإنما اتخذها المؤذنون للأذان حتى أبطلها "المستعصم بالله" وأمر أن يكون الأذان من خارجها⁽¹⁾.

موضع المقصورة في المسجد:

■ في مقدمة المسجد من جهة القبلة أمام المحراب.
■ في صحن المسجد بجوار ظلة القبلة وعلى نفس محور المحراب وقد ارتبط هذا النوع من المقاصير بوجوده في المسجد وخاصة المساجد الجامعة إذ أن مثل هذه المقاصير لم تبين مستقلة ولم تلحق بخارج البناء ولا يمكن فصلها عن المسجد. فإذا وجدت في داخل بيت الصلاة (ظلة القبلة) فلا بد أن تكون ملاصقة لجدار القبلة من أمام المحراب ويعتبر جدار القبلة في ذلك الموضع ضلعاً من اضلاعها وهي في هذا المكان تتقدم المحراب، وتحيط بالمنبر، أما إذا وجدت المقصورة في الصحن فهي حتماً تقع في مواجهة المحراب الرئيسي ويمكن أن تتركب المقصورة ملاصقة بجدار القبلة على جانبي المحراب.

نشأة المقصورة اختلف المؤرخون حول نشأة المقصورة كالاتي:

الفريق الأول ذكر أن أول من اتخذها: عثمان بن عفان⁽²⁾:

ثم اتخذها من جاء بعده وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة⁽³⁾، وذلك عندما انتدب أهل السير، ثلاثة من الخوارج فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة "على بن أبي طالب، معاوية بن أبي سفيان، عمرو بن العاص" ويربحن العباد منهم لكن جرح معاوية فقط⁽⁴⁾، ذكر "العسكري" نقلاً عن "ابن زباله" أن أول من أنشأ المقصورة هو عثمان بن عفان، وأنه كانت فيها كوى ينظر الناس منها إلى الإمام وكان قد وضعها خوفاً على نفسه بعد مقتل الخليفة "عمر بن الخطاب" وهو يصلى⁽⁵⁾.

(1) حماده ثابت محمود: دكة المبلغ في شرق العالم الإسلامي ومصر خلال القرن 12:7 هـ، 18:13 م دراسة أثرية فنية مقارنة، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة حلون، 2010م، ص. 9.

(2) الأمام جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، المكتبة العصرية، بيروت صيدا، 1989م، ص. 187.

(3) عبد الرحمن محمد (ابن خلدون، ت808هـ): مقدمة ابن خلدون، ج.2، دار نهضة مصر، 2006م، ص. 674.

(4) مؤمن بن حسن الشبلنجي: نور الإبصار في مناقب آل النبي المختار "ص"، دار الفكر، ص. 115.

(5) جلال الدين السيوطي: المرجع نفسه، ص. 187.

الفريق الثاني ذكر "السمهودى" نقلاً عن "مسلم":

أن أول من اتخذ المقصورة في المسجد هو "معاوية بن ابي سفيان" عندما تعرض لمحاولة اغتيال على يد واحد من الخارجين يدعى "بالخارجي".

وكذلك يرى "ابن خلدون" أن "معاوية" هو أول من اتخذ المقصورة وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، ويؤكد "المقريزي" ما ذكره "ابن خلدون"، فيذكر أن أول ما عملت المقاصير في الجامع كان في أيام "معاوية بن أبي سفيان" (1).

أما الفريق الثالث من المؤرخين:

والذي يرجع نشأة المقصورة إلى الخليفة "مروان بن الحكم" الأموي فهو يستند على النص الذي ذكره "السمهودى" نقلاً عن "ابن حنطب" والذي يؤكد أن أول من أحدث المقصورة في المسجد حين طعنه "اليمني" فصنع "مروان" لنفسه مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكات.

ولم تقطع الرويات السابقة بأي الخلفاء كان أسبق في اتخاذ المقصورة عند موضع صلاته حيث تساوت الحجج التي أوردها المؤرخون حول الخليفة "عثمان ومعاوية ومروان بن الحكم".

إلا أن هناك حقيقة أخرى وردت في نص "لابن الأثير" فحواها أن صحابياً يدعى "السائب بن حباب" (*)، قد شغل وظيفة من قبل الخليفة عثمان بن عفان وهي وظيفة صاحب المقصورة، وجعل له فيها راتباً شهرياً يقدر بدينارين "وعلى هذا يعتبر "السائب بن حباب" هو أول من شغل وظيفة صاحب المقصورة، حيث لم يأت المؤرخين بذكر واحد قد تولى هذه الوظيفة، بل ولم يرد اسم الوظيفة نفسها لا في أيام الخليفة "معاوية بن سفيان" ولا في أيام الخليفة مروان بن الحكم مما يرجع نسبة المقصورة إلى الخليفة "عثمان بن عفان"، والتي اتخذها عند تجديده لمسجد الرسول "ص" بالمدينة.

- على هذا تعددت الآراء حول نشأة المقصورة كما اختلفت الآراء حول نسبتها، وقد تصح الروايات الثلاثة السابقة على الأساس الآتى "مادة صناعتها": -
 1. بأن "عثمان بن عفان" أول من بناها من اللبن.
 2. و"مروان بن الحكم" أول من بناها من حجر.

(1) عبد الرحمن بن خلدون: مرجع سابق، ص. 674.

(*) هو السائب بن حباب أبو مسلم وقيل أبو عبد الرحمن صاحب المقصورة مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وروى عنه حديث واحد عن النبي "ص".

3. ولما ولي "عمر بن عبد العزيز" المدينة للخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" وقام بتوسعة المسجد النبوي، جعل المقصورة من خشب الساج، وزخرف سقفها من الفسيفساء وكان سقف المقصورة مرتفعاً قليلاً عن بقية أسقف أروقة القبلة ومرتفعاً في أرضيته بمقدار بسيط (1).

وقد جاء في فتوح البلدان أن "زيادة الله بن أبيه" هو أول من اتخذ المقصورة في مسجد البصرة وذلك نقلاً عن الوليد بن "هشام بن قحذم" حيث قال: "لما بنى زيادة المسجد جعل لصفة المقدمة خمس سوار وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة.

الدوافع الحقيقية لنشأة المقصورة: -

وقد أظهرت الرويات السابقة الدوافع الحقيقية التي ساعدت على اتخاذ المقصورة في المسجد حيث أيدت الرويات السابقة الدافع الأمني الذي دفع الخلفاء لصناعة مثل هذه المقاصير خوفاً على حياتهم من الاغتيال وهم قائمون في المسجد للصلاة، وذلك استناداً الى ما أصاب الخليفة عمر بن الخطاب في مقتله وهو قائم يصلي في المسجد (2).

أثر المقصورة على تخطيط المسجد: -

أوضحت الدراسة السابقة الدافع الحقيقي من وراء اتخاذ المقصورة كحجاب أمني، بقي الخليفة أو الوالي من شر الفتن التي تهدد حياته عن طريق محاولات الاغتيال التي كانوا يتعرضون لها وهم قائمون في المسجد للصلاة.

مما دفع المعمارين المسلمين إلى مراعاة تأمين الخليفة أو الوالي عند وضعهم تخطيط المسجد فبدأوا في توظيف بعض العناصر المعمارية لذلك حماية للموضع الذي يصلى فيه الخليفة، بل ووضع المعمار المسلم في حسابه وراعى في تخطيطه للمسجد عملية تأمين الخليفة عند انتقاله من دار الإمارة الى المسجد فجعله يمر في داخل نفق أو من على ساباط حتى لا يطلع عليه أحد ، كما أفرد له المعمار مدخلاً خاصاً يدخل منه الخليفة أو نائبه إلى داخل المسجد دون أن يزاحمه أحد ، ويجلسه في موضع خاص حتى لا يتعدى عليه أحد ، وفي ذلك كله حرص شديد من قبل المعمار على شخصية الخليفة ومكانته ، والتي تتضح من خلال المنطقة التي شغلها المعمار بالمقصورة في داخل المسجد وهي المنطقة التي تقع أمام المحراب مباشرة وتجاور المنبر والتي لم يأت اختيارها من قبيل الشكل فقط ولكن استناداً على ما يؤيدان من وظيفة مرتبطة كل الارتباط بشخص الخليفة أو الوالي ، حيث كانوا هم الأئمة وهم أنفسهم الخطباء ، وعلى هذا أعتنى المعمار بهذا الموضع وأفرد له أهمية خاصة فقام بحجزه من خلال حواجز على هيئة أسيجة مصنوعة من مواد مختلفة .

(1) <http://www.almuallem.net/saboora/showthread.php?t=25030> 22-1-2013.

(2) محمد محمد الكلاوي: آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة والأندلسيين الدار المصرية اللبنانية، ط. 1، 1994م، ص. 210.

وأثار وضع المقصورة الجدل بين بعض الباحثين، فيرى "د. أحمد فكرى" أن المقصورة هي نوع من الأثاث الملحق بالبناء، ولا تدخل في تخطيط المسجد، ليس لها على كل حال صلة بشئون الكنائس⁽¹⁾، بينما يرى "سوفاجيه"^(*) أن استخدام المقاصير في المساجد الجامعة كان ضمن الأسباب الرئيسية التي ساعدت على تطوير المسجد وأثرت على تخطيطه وخاصة في بيت الصلاة، وقد وضع سوفاجيه افتراضيه هذا من خلال اقتناعه بأن البلاطة الوسطى في مسجد الرسول "ص." كانت هي ذاتها المقصورة⁽²⁾.

ويرى "حسن قاسم" أن المقصورة، كانت في مسجد الرسول "ص." وأنه قد أنشأها بنفسه بغرض الجلوس فيها وذلك حينما سأله الصحابة أن يبنوا له موضعاً لجلوسه تمييزاً له عنهم للقادمين والوافدين عليهم، وقد بنوه بالطين، ويؤكد "حسن قاسم" أن تلك المقصورة ظلت قائمة في المسجد النبوي حتى عهد الخليفة "عثمان بن عفان" الذي أعاد بناءها باللبن وفتح لها طاقات من جهتها الغربية، وهذا التصور الخاطئ الذي تحدث عنه "حسن قاسم" لمقصورة المسجد النبوي هو نفسه التصور الذي تخيله "سوفاجيه" لمقصورة المسجد النبوي حيث اعتبرها قاعة استقبال خاصة للرسول "ص."، يستقبل فيها الملوك والحكام في الحفلات الرسمية، وكانت تترك خالية في غير الحفلات الرسمية ومن الطبيعي أن نرفض هذا التصور الخيالي من قبل "سوفاجيه" لأنه لم يعرف معنى المسجد من الناحية العقائدية واقتصرت معرفته عن عمارة المسجد على الناحية الإنشائية فقط.

التطور المعماري في صناعة مقاصير الصلاة: -

شهدت صناعة مقاصير الصلاة في المساجد تطوراً معمارياً ملحوظاً شمل تخطيطها المعماري ومادة بنائها، والمساحة التي تشغلها، وكذلك العناصر البنائية المرتبطة بها، كالمداخل المؤدية إليها والقبه والساباط، هذا بالإضافة إلى شتى أنواع الفنون من زخارف نباتية هندسية وكتابية والتي مازالت بعض أمثلتها موجودة إلى اليوم.

وقد صنعت المقصورة الأولى في مسجد الرسول "ص." وكانت مادة بنائها من اللبن وقد صنعها الخليفة "عثمان بن عفان" في المسجد سنة 29هـ / 649م وجعل فيها كوى صغيرة ينظر منها الناس إلى الإمام،.

(1) <https://c.ksu.edu.sa/node/8527> 29-4-2013.

(*) جان سوفاجيه Jean Sauvaget (1318- 1369هـ / 1901- 1950 م)، هو مستشرق فرنسي عني بالتاريخ والآثار الإسلامية.

(2) محمد محمد الكحلوي: مرجع سابق، ص. 211.

أما في العصر العباسي: فقد أدخل الخليفة "المهدى" عدة إضافات على مسجد الرسول"ص." كان منها عمارته للمقصورة حيث صنعها من الخشب وجعلها تشغل اسكوب المحراب بأكمله وجعل المحراب فيها وكانت تمتد من الشرق إلى الغرب كما أمر معماره بأن يخفضها إلى منسوب المسجد⁽¹⁾.

أما في العصر الأموي: فقد اتخذ الأمويون مقاصير الصلاة في مساجدهم مصنوعة من الخشب وكانت لا تشغل حيزاً كبيراً إلا أنها كانت تتقدم المحراب ويعلوها قبة.

أما الفاطميين: فقد شهدت صناعة المقاصير تطوراً كبيراً على عهدهم فلم يخلُ مسجد من مساجدهم إلا وانشأوا فيه المقاصير لصلاتهم حيث اتخذوا لمواضع صلاتهم في المساجد مقصورتين من الخشب الأولى كانت أكبر حجماً من الثانية وكانت تقع في ظل القبة أمام المحراب ويعلوها قبة، والمقصورة الثانية كانت توضع في صحن المساجد وكان يقف فيه الخليفة أمام محرابه الخشبي وقد خصصت تلك المقصورة لصلاة الخليفة في الصيف⁽²⁾.

أما في العصر المملوكي فقد تنوعت أشكال المقاصير وكذلك مادة بنائها وتعددت أيضاً وظائفها حيث شيدت المقاصير بالخشب والحديد والرخام، وتنوعت هيئتها المعمارية من أشكال مختلفة منها المستطيل والمربع والشكل الدائري.

المقاصير المتحركة:

عرفت كل من مصر والمغرب المقاصير المتحركة، إلا أن استخدامها في بلاد المغرب الإسلامي كان أكثر تطوراً عن مثيلتها في مصر وخاصة في العصر الفاطمي حيث استخدم الخلفاء الفاطميون في مصر المقاصير المتحركة في صحن مساجدهم والمساجد التي كانوا يصلون فيها وقد صنعت هذه المقاصير من الخشب. وقد أفادت كتب المؤرخين ببعض الإشارات التي نوهت إلى تلك المقاصير الخشبية التي كان ينصبها الخلفاء الفاطميون في صحن مساجدهم التي كانوا يصلون فيها في فصل الصيف وكانت ترفع هذه المقاصير في فصل الشتاء عندما كانوا يصلون في داخل المقصورة الكبيرة بظل القبة.

(1) <http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.conarticle&contented=6251&category=1027> 29-4-2013.

(2) محمد محمد الكحلوي: مرجع سابق، ص. 222.

أشكال المقاصير المختلفة يمكن تقسيم المقاصير من حيث الشكل الى ثلاثة نماذج:

النموذج الأول: - تأخذ الشكل المربع.

النموذج الثاني: - تأخذ الشكل المستطيل.

النموذج الثالث: - تتكون فيه المقصورة من ثلاث جوانب وتأخذ الشكل المستطيل ويمثل أحد جدران المنشأة الجانب الرابع من المقصورة (1).

وبذلك تعتبر المقصورة مصدر الشاشات هو حماية الخليفة من محاولات الاغتيال أثناء الصلاة، كما قد يكون هناك بعض دلالات روحية مماثلة لشاشة المذبح في الكنائس. وغالبا ما كانت شاشات خشبية مزينة بالمنحوتات المتشابكة مثل تلك للمشربية.

النتائج والمناقشة:

1. الأصل اللغوي لكلمة مقصورة Compartment: المقصورة في اللغة من قصر الشيء، يقصره قصرأ أي حبسه وتجمع على مقاصير ومنه مقصورة الجامع.
2. المقصورة لم تكن قطعة من الأثاث داخل المسجد كما ذكر الدكتور "أحمد فكرى" حيث أثبت البحث أن المقصورة قد أثرت في تخطيط المسجد وكان لوجودها أعظم الأثر في استحداث عناصر معمارية.
3. الدافع الحقيقي لنشأة المقاصير داخل المساجد، وهو الدافع الأمني الذي دفع معظم الخلفاء والولاة والسلاطين لاتخاذها على موضع صلاتهم.
4. نشأت المقصورة في زمن الخليفة "عثمان بن عفان" استناداً على الوظيفة التي استحدثها الخليفة "عثمان" وهي صاحب المقصورة والتي شغلها "السائب ابن حباب".
5. تعددت وظائف المقصورة منها المقاصير العلمية، الخزائن، الكتب... وغيرها من الوظائف المختلفة.
6. أشكال المقاصير المختلفة: تأخذ الشكل المربع، المستطيل، ثلاث جوانب والجانب الرابع الجدران.
7. المحافظة على التراث الفني والتراث التقني لبعض التقنيات القابلة للاندثار نتيجة عدم الاهتمام بها واقتصارها على عدد قليل من الصانع.

(1) محمد محمد الكحلوي: مرجع سابق، ص.222.

الاستنتاجات:

نستنتج من هذه الورقة البحثية أن المقصورة الخشبية تمثل قيمة فنية رائعة ويجب علينا الحفاظ عليها كأثر ثقافي وتم ذلك في أولى خطوات عمليات الحفاظ عليها، كما أوصى بزيادة الاهتمام بها من قبل هيئة الآثار، كما يجب إقامة وإعادة تأهيل للمقصورة الخشبية في موضعها الأصلي بالمسجد وخصوصاً في المساجد الحالية والتي لم تعد توجد بها مثل هذا النوع من الأثر الأثري لذا يجب الاهتمام بإقامتها داخل المسجد التي يتم إنشائها والحفاظ عليها.

المراجع:

1. القرآن الكريم: الجزء الثالث والعشرون، سورة ص، آية "52".
2. القرآن الكريم: الجزء السابع والعشرون، سورة الرحمن آية "72".
3. ابن منظور: معجم لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، عام 689هـ.
4. الأمام جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، المكتبة العصرية، بيروت صيدا ، 1989م.
5. حماده ثابت محمود: دكة المبلغ في شرق العالم الإسلامي ومصر خلال القرن 12:7 هـ، 18:13 م دراسة أثرية فنية مقارنة، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة حلون، 2010م.
6. عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
7. عبد الرحمن محمد (ابن خلدون،): مقدمة ابن خلدون، ج.2، دار نهضة مصر، 2006م.
8. عبد الرحمن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج.2، دار نهضة مصر، 2006م.
9. العربي صبري عبد الغنى: دراسة مقارنة لطرز العمائر الدينية المملوكية البحرية الباقية بمدينة دمشق والقاهرة، رسالة دكتوراه كلية الآثار جامعة القاهرة، المجلد الأول، 2003م، ص. 194.
10. متحف بلا حدود: الفن المملوكي عظمة وسحر السلاطين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007م.
11. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر.
12. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: غداء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، ط.2، 1993م.
13. محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، دار ابن كثير. 1993م.
14. محمد راشد حماد: أشغال النجارة في مصر القديمة، مطابع المجلس الأعلى للآثار، 2007م.
- 15.

16. محمد محمد الكحلوي: آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة والأندلسيين الدار المصرية اللبنانية، ط. 1، 1994م.

17. محمد محمد الكحلوي: مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي دراسة أثرية معمارية، بحث منشور بمجلة كلية الآثار عدد 3، مطبعة جامعة القاهرة، 1989م.

18. مؤمن بن حسن الشبلنجي: نور الإبصار في مناقب آل النبي المختار "ص"، دار الفكر.

19. Collins English Dictionary -Complete & Unabridged 10th Edition

© William Collins Sons & Co. Ltd, 2009.

20. Dictionary of Oxford، part compartment".

21. http://archnet.org/library/dictionary/entry.jsp?entry_id=،30-1-2013.

22. <http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.conarticle&contented=6251&category=1027> 29-4-2013.

23. <http://www.almualem.net/saboora/showthread.php?t=25030> 22-1-2013.

24. <https://c.ksu.edu.sa/node/8527> 29-4-2013.

25. The American Heritage® Dictionary of the English Language، Fourth Edition copyright ©2000 by Houghton Mifflin Company, Published by Houghton Mifflin Company. All rights reserved, . Updated in 2009.